

سمات الخطاب السياسي في المغرب

من خلال عينة من الصفحات الأولى لجريدة "الاتحاد الاشتراكي"

أحمد حورزي

مقدمة

لا بد أن الخطاب السياسي المغربي تأثر بالتحويلات الكبرى التي عرفها المشهد السياسي خلال العقود الثلاثة الأخيرة، سواء على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الدولي. فتطورات مثل انتهاء النزاع بين الحركة التقدمية والقصر، والذي تلته مرحلة توافق، حذر في البداية ثم أكثر حرارة إلى أن توج بحكومة التناوب؛ ومثل احتلال المشاكل الاجتماعية للصدارة في هموم المواطنين؛ والحاكمين على السواء؛ ومثل استقالة أمد حل قضية الصحراء فوق كل التوقعات؛ كل هذا في إطار دولي من أبرز معالمه استفراد الولايات المتحدة بالقطبية وعولمة النظام الرأسمالي؛ تطورات مثل تلك في هكذا إطار لم يكن ممكنا ألا تحدث في الخطاب السياسي المغربي تغييرات عميقة .

أهداف البحث ومنهجه

ما هو حجم، وما هي مظاهر التغييرات التي أصابت الخطاب السياسي المغربي؟ هذا هو السؤال الذي يقتصر طموح هذه الورقة على المساهمة في محاولة الإجابة عليه، في انتظار أن يمكن التطرق للسؤال الأصعب، سؤال طبيعة التغييرات المقصودة. ومع ذلك فإن الورقة تهدف كذلك إلى اقتراح بعض الفرضيات فيما يخص هذا السؤال الأصعب.

هي إذن ورقة استكشافية، يجب أن تؤخذ خلاصاتها على أنها ملاحظات أولية وفي أحسن الأحوال فرضيات لا بد من الخوض في البحث آخر، معتمد على مادة أدمس ومسلح بمنهجية أكثر صرامة، لاختيارها.

لإنجاز البحث الاستكشافي هذا، تم اختيار جريدة "الاتحاد الاشتراكي" نموذجا لكونها لسان الحزب الأول في الساحة الوطنية بالمقاييس المتعارف عليها، وهو في جميع الأحوال الحزب الذي قاد تجربة التوافق وحكومته، فلا غرو أن يفترض أنه يعكس أحسن من غيره، وخاصة عبر جريدته، التغييرات التي حصلت في الخطاب السياسي المغربي.

ولأغراض البحث فقد اكتفي بالصفحات الأولى من عدد قليل من الأعداد المتتابعة (14) عددا، من 10 يناير إلى 25 منه، مع "إفلات" عددي 21 و 23 يناير من من العينة لأسباب تافهة)، على

اعتبار أن الصفحات الأولى من الجرائد السياسية هي التي يتركز فيها الخطاب السياسي لهذا الفاعل أو ذلك.

وقد قسمت كل صفحة أولى إلى مساحات كما يلي :

- مساحة الافتتاحية، حيث يتكشف عادة إلى درجة قصوى الخطاب السياسي الفاعل
- مساحة المقال الرئيسي
- مساحة المقالات الثانوية
- مساحة "الطابق السفلي" المخصصة عادة لأحد الصحفيين المعتمدين.
- مساحة ركن "من يوم لآخر"

وقد استثنيت القصاصات الخيرية المحض والعناوين التي تحيل إلى مقالات داخلية وكذلك بعض

الترجمات لمقالات صادرة في صحف أجنبية

ولموضوع كل مساحة أعطيت صفة من الصفات التالية:

- متعلق بالسياسة الداخلية (س)
- متعلق بالسياسة الخارجية للمغرب (س خ)
- متعلق بقضايا دولية (خ)
- اجتماعي مطلي (ج ط) مثلا : مشكل المتقاعدين
- اجتماعي-سياسي (ج س) مثلا : قضايا الرشوة
- اجتماعي عام (ج) مثلا : الجرائم
- متنوعات (م) مثلا : المناخ
- رياضي (ز)

النتائج

يلخص الجدول رقم 1 النتائج المحصلة

والذي يستفاد من هذه النتائج أنه من أصل 69 موضوعا محصيا فإن 14 موضوعا فقط تتعلق

بالسياسة الداخلية. وحتى لو أضفنا إلى هذا العدد المواضيع المتعلقة بالسياسة الخارجية للمغرب، بل

والمواضيع المتعلقة بقضايا دولية مهمة - وهو أمر مشروع في زمن العولمة- فإننا بالكاد نصل إلى عدد 26 موضوعا، أي ما يفوق بقليل ثلث المجموع، مما يسمح لنا بأن نخرج بكل ثقة -ولا نقول بكل اطمئنان- بملخصة أساسية ألا وهي أن الخطاب السياسي المغربي خطاب شحيح. ومما يؤكد هذه الملخصة أننا نجد مساحة الافتتاحية "فارغة" في أغلب الحالات، فمن أصل 14 عددا من الجريدة لا نجد افتتاحية إلا في 4 أعداد. كما أن المقالات الرئيسية لا تنصب على مواضيع سياسية إلا في 6 حالات.

وإذا كان منتظرا أن يكون حضور السياسة، بما فيها الخارجية والدولية، في المقالات الثانوية حضورا مقلصا (13/8) إلا أن الغريب هو أنه نجد السياسة الداخلية غائبة تماما عن "الطباق السفلي"، في حين أن هذا الطباق هو عادة المساحة المخصصة بامتياز للتعليق السياسي شبه-الرسمي. نفس الملاحظة تنطبق على ركن "من يوم لآخر"، حيث لا نجد تطرق خلال الفترة المدروسة إلى موضوع سياسي إلا 4 حالات من أصل 13 .

خطاب شحيح إذن، لتساءل أولا: لفائدة أي خطاب آخر هذه الشحة؟ قبل أن نلتقط المزيد من مظاهر الخطاب السياسي المغربي، كما يتجلى عبر عينة من جريدة الاتحاد الاشتراكي. من الواضح أن المستفيد الكبير من شحة الخطاب السياسي هو الخطاب الاجتماعي بمختلف أصنافه (الاجتماعي- العام، الاجتماعي-السياسي، والاجتماعي المطلي). فهو يكتسح نصف مجموع المواضيع المخصصة (64/35) وإذا كنا نجد أكثر كثافة ضمن مساحة المقالات الثانوية، فإنه حاضر كذلك بقوة في ركن "من يوم لآخر" وفي مساحة المقال الرئيسي. أما المنوعات والرياضة فيبقى حضورها عموما هامشيا، إلا في مساحة "الطباق السفلي" - مكان التعليق السياسي بامتيار، - حيث قاربت المواضيع المخصصة لها ثلث المجموع . لنعد الآن إلى المواضيع السياسية، للإطلاع على القضايا التي تناولتها بحسب المساحات .

الجدول رقم 2

11 يناير السلفية الجهادية مشروع القانون حول الإرهاب تصريحات للزمزمي قرارات مجلس وزاري	الإفتتاحية
---	------------

المقال الرئيسي	قرارات مجلس وزاري مشروع القانون حول الإرهاب تصريحات للرئيس الجديد للجنة الأحوال الشخصية
المقالات الثانوية	محاضرة لليازغي تصريحات لأوجار محاكمة خلية القاعدة
"الطابق السفلي"	(لا شيء)
"من يوم لآخر"	حزب العدالة والتنمية تصريحات الزمزمي سير مجلس النواب

يبدو بشكل واضح من هذا الجدول أن البوليميك مع الإسلاميين يطغى على الخطاب السياسي لجريدة الإتحاد الاشتراكي . فهو مضمون 8 مواضيع من أصل 14. تليه في الأهمية مضامين يمكن وصفها إجمالاً بالمناسية (ذكرى 11 يناير، التعليق على نشاط حكومي وعلى قرار ملكي) فهل يحق أن نستشف من هذه المعطيات أننا أمام فاعل فقد المبادرة، وركن للدفاع و/أو لتأييد قرارات أخذها غيره؟ ربما أيد هذا الاحتمال كون النشاط الحزبي ذاته لم يحظ بالبروز -وفي مقال ثانوي فقط - إلا مرة واحدة من أصل 14 .

خلاصة وفرضيات لبحث لاحق

في جميع الأحوال يظهر أن الخطاب الذي نحن بصدد خطاب شحيح وإلى حد يقارب البكم، وخطاب دفاعي (تجاه الإسلاميين أساساً) وتابع (بالنسبة للقصر والحكومة التي، للتذكير لم تعد حكومة الإتحاد الاشتراكي ومشدود إلى الماضي والذكريات (1)).
فهل يتعلق الأمر بظاهرة عامة قد نسميها بلاء السياسة *obsolescence du politique* لفائدة الاجتماع، تبعاً لضغط الواقع وذوق القراء؟

أم يتعلق برقابة على الذات، انطلاقا من الشعور بأن طرفين تنازعا لأكثر من عشرين سنة لم تستقر بعد؟

أم بدو حة حقيقية تعود إلى انفكك السلسلة الرابطة بين الخطاب والمرجعية الفكرية من جهة، وبينه وبين الفعل من جهة ثانية؟

وإذا كانت هذه الفرضية الأخيرة هي الأقرب إلى الحقيقة، فهل مرد انفكك السلسلة إلى عنف ما شهدته الساحة الدولية والساحة الوطنية خلال العقود الثلاثة الأخيرة فقط، أم أيضا إلى ضعف أصلي في السلسلة، ليس خاصا بأصحاب الاتحاد الاشتراكي وإنما يعم ثقافتنا المغربية؟ هذا ما قد يسعى للإجابة عليه بحث لاحق.

(1) مع أنه قد يقال أن ثلاث مقالات صنفات ضمن "الاجتماعي تقع في الحقيقة في خانة النشاط الحربي، وهي المقالات المخصصة لتأسيس نقابة فلاحية منفصلة عن الكنفدرالية لشغل. وبعد؟